مجلة جامعة المحـــويت العلمية
Mahweet University Scientific Journal (MUSJ)
Vol (1), No (1) (2025)

نظرات في التفسير الموضوعي– تفسير سورة الفيل أنموذجًا

Reflections on Thematic Tafsir:
A Thematic Interpretation of Surah Al-Fīl as a Model

(**تاريخ الاستلام:** 2025/6/10م، **تاريخ المراجعة:** 2025/9/22م، **تاريخ القبول:** 2025/11/20م)

أ.م.د. حسن محمد حسن المعلمي

جامعة المحويت، كلية التربية، قسم القرآن الكريم وعلومه

Email: elmoualimihassan@gmail.com

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تعريف مفهوم التفسير الموضوعي وبيان أهميته وأنواعه، وقد نال حظًا وافرًا من البحث والجمع والتحقيق في كثير من الدراسات، مع أنه نشأ كلبنة أولى منذ عصر التنزيل؛ وأنه لم يظهر بتسميته الحالية إلا في عصرنا الحاضر، واتسعت ميادينه لتشمل جوانب الحياة، ومعالجة القرآن لمشكلات تلك الميادين، وبما أن التفسير الموضوعي يهتم بالوحدة الموضوعية للقرآن إلا أنه لا يستغني عن التفسير التحليلي(التجزيئي) الذي يُعد أساسًا للتفسير الموضوعي في بيان معاني القرآن، ولأهمية الجانب التطبيقي فقد تناول البحث تفسير سورة الفيل تفسيراً موضوعيًا كأنموذج على نوع التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، واستعمل الباحث المنهجين الوصفي والتحليلي، وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، المبحث الأول: مفهوم التفسير الموضوعي، المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وأهميته وأنواعه، المبحث الثالث: تفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعياً وتوصل البحث إلى نتائج منها: 1- يوجد فرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير الموضوعي، 2- نشأة التفسير الموضوعي منذ عصر التنزيل ولم يكن بالتسمية المعاصرة، 3- يعتبر التفسير الموضوعي طريقة جديدة في التفسير، 4- سورة الفيل حكت عن أحداث فترة زمنية بخمس آيات بأفصح كلام وأبلغ أسلوب.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الموضوعي، سورة الفيل.

Abstract

This study seeks to define the concept of thematic tafsir by clarifying its meaning, significance, and types. Although thematic tafsir has gained notable prominence in contemporary research, compilation, and scholarly inquiry, its foundational roots extend back to the era of Qur'anic revelation, even though it did not emerge under its current terminology until modern times. Over time, thematic tafsir has expanded to address diverse aspects of life, providing Qur'anic perspectives and responses to various issues and fields. While it emphasizes the thematic unity of the Qur'an, thematic tafsir remains inherently dependent on analytical (fragmentary) tafsir, which constitutes the essential basis for understanding Qur'anic meanings. Given the importance of its applied dimension, this study presents a thematic interpretation of Surah al-Fīl as a representative model of this exegetical approach, employing both descriptive and analytical methodologies. The study is organized into an introduction and three main sections addressing the concept, emergence, and significance of thematic tafsir, followed by an applied thematic analysis of Surah al-Fīl. The findings reveal a clear distinction between the linguistic and technical definitions of thematic tafsir, confirm its origins in the era of revelation despite the absence of its modern designation, and highlight its status as a contemporary methodological approach in Qur'anic exegesis. The study also concludes that Surah al-Fīl recounts a historical event concisely within five verses, articulated through highly eloquent language and exceptional rhetorical precision.
Keywords: Thematic Tafsir, Surah al-Fīl, Qur'anic Exegesis.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، رسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

القرآن الكريم كلام الله الذي أنزله على نبيه، وجعله معجزة خالدة على مر العصور، فيه علم الأولين، وخبر الآخرين، وهو شفاء العليل، وسراج الله المستبين، وهو عقيدة وشريعة، ونظام حياة، وفيه أصول المعرفة والخير والعدل.

القرآن يهدي إلى الهداية التي لا توازيها هداية، وهو نور يبدد الظلمات، ويشرح الصدور، ويقصم الطغاة الظلمة، هو دستور حياة تحيا به الإنسانية وتسعد في الدنيا والآخرة، وما دام القرآن يحتل المنزلة الرفيعة والدرجة العالية، فإنه أحق بالقراءة على الدوام، وبالدراسة والتحقيق أبد الدهر، لذا انتهل منه العلماء شتى العلوم، واهتموا بألفاظه وفهم معانيه، وكشف أسراره، والاغتراف من بحوره التي لم يبلغوا مداها، ولا سبروا أغوارها.

ولأن القرآن معجز في لفظه ومعناه فإن العلماء سلكوا في فهمه إلى تفسيره، فإن التفسير معين لكشف المعاني التي تستخرج من ألفاظه، وإن فهم المقصود من اللفظ القرآني يحقق الهدف الذي من أجله كان تفسيره وبيانه.

إن التفسير علم واسع وهو من العلوم الشرعية المهمة التي لا غنى عنها، وهو ألوان وأقسام، فمنه ما يهتم بالرواية، وآخر بالدراية، وآخر باللفظ، وآخر بالمعنى، ومنه ما يتناول البلاغة وأنواعها وفنونها، ومنه ما يكشف الإعجاز العلمي بالبراهين، ومنه ما يتتبع المفردات بالكشف والبيان، ومنه ما يتناول موضوعاً بذاته أو مصطلحاً أو كلمة وهذا النوع هو التفسير الموضوعي.

ولون التفسير الموضوعي في هذا العصر نال حظاً وافراً من البحث والجمع والتحقيق، لا لأهميته فحسب؛ بل لما قدمه لكتاب الله من خدمة بمعالجة الموضوع الوارد في القرآن كوحدة موضوعية متكاملة ومترابطة تكشف ما تضمنه القرآن من المعاني المترابطة كحبات لؤلؤ في عقد[1].

ومما تجدر الإشارة إليه بأن التفاسير في أساليبها تتكون من أربعة هي:

1- التفسير التحليلي 2- التفسير الإجمالي 3- التفسير المقارن 4- التفسير الموضوعي.

والأسلوب الرابع هو الذي سنتحدث عنه في هذا البحث، لاسيما نوع التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وكأنموذج تطبيقي عليه أورد الباحث تفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعيًا، ومما لا شك فيه أنه ينبغي لكل مُؤَلِّفٍ كتاباً في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء كان معضلاً، أو جمعه إن كان متفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل، وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول يتناول مفهوم التفسير الموضوعي، والمبحث الثاني يتناول نشأة التفسير الموضوعي وأهميته وأنواعه، والمبحث الثالث يتناول تفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعيًا كأنموذج تطبيقي.

يتضمن هذا البحث خطة علمية منهجية تبدأ بالمقدمة، يليها بيان أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع، ثم عرض إشكالية البحث وحدوده، وتوضيح منهجية البحث المتبعة، مع استعراض أبرز الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع. وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة، قُسِّم كل مبحث منها إلى مطالب. تناول المبحث الأول مفهوم التفسير الموضوعي، حيث خُصِّص المطلب الأول لتعريف التفسير، والمطلب الثاني لتعريف مصطلح الموضوعي، بينما عالج المطلب الثالث تعريف التفسير الموضوعي بوصفه مركبًا وصفيًا إضافيًا. أما المبحث الثاني فقد خُصِّص لبيان نشأة التفسير الموضوعي وأهميته، فتناول المطلب الأول مرحلة عصر التنزيل، والمطلب الثاني مرحلة عصر التدوين، والمطلب الثالث مرحلة عصر النهضة الحديثة، في حين عالج المطلب الرابع أنواع التفسير الموضوعي، وخصص المطلب الخامس لبيان أهميته. وجاء المبحث الثالث ليتناول الجانب التطبيقي من خلال تفسير سورة الفيل أنموذجًا، حيث خُصِّص المطلب الأول لتقديم نبذة تعريفية عن السورة، والمطلب الثاني لتفسيرها تفسيرًا موضوعيًا. ويُختتم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، يعقبها فهرس المراجع والمصادر.

أهمية البحث:

تتضح لنا أهمية هذا البحث من الناحية النظرية والعملية في تأصيل المفاهيم والمصطلحات للتفسير الموضوعي، وتستبين بالولوج في ثناياه، ويمكن إبراز تلك الأهمية فيما يلي:

1. ضرورة دراسة التفسير الموضوعي باعتباره لوناً مهماً من ألوان التفسير.

1 حول الوحدة الموضوعية تحدث أستاذنا العلامة البروفيسور محمد درَّاجي ـ حفظه الله ـ وبسط الكلام فيها مستدلاً ومناقشاً بعنوان: الشيخ سعيد حوى مفسراً 1997م: ص110، وينظر: حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم1970م: ص12.

2. تتعمق لدينا القناعة في استيعاب التفسير الموضوعي من حيث العلم بمعناه وأسسه وأصوله، وكذا التوسع في توظيفه لمعرفة أسرار القرآن الكريم، باعتباره أداة من أدوات العلم الشرعي، وطريقة جديدة من طرق التفسير لفهم كتاب الله المعجز، والتلذذ بمعانيه ومضامينه في سياق الوحدة الموضوعية للموضوع المتعين دراسته بالبحث والتحقيق.
3. تعزيز البحث بالجانب التطبيقي بتفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعيًا.

سبب اختيار الموضوع:

أثناء التأمل في تفسير قصار السور لفت انتباهي المفاهيم التفسيرية لسورة الفيل مع قصر آياتها؛ إلا أنها حكت بأبلغ الكلام وأفصحه ووجازته عن أحداث فترة زمنية معتبرة من التخطيط والإعداد والتنفيذ، فارتأيت أنها جديرة بالبحث والدراسة بإلقاء نظرات في مفاهيم ومصطلحات وأنواع التفسير الموضوعي، مع تفسير سورة الفيل كأنموذج تطبيقي للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

أهداف البحث:

يمكننا تحديد الأهداف المنشودة من البحث في نقاط من أهمها:

1. محاولة ضبط مفاهيم ومصطلحات التفسير الموضوعي.
2. إبراز المؤلفات القرآنية واللغوية التي اهتمت بالتفسير الموضوعي كلبنة من لبنات نشأته .
3. تفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعيًا.
4. استخلاص الغايات التي هدفت إليها سورة الفيل الحاكية عن أحداث فترة زمنية معتبرة.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في تعدد أنواع التفسير وتداخلها مما يلتبس التفريق بينها لتحديد التفسير الموضوعي كطريقة جديدة في التفسير أو منهج أو لون من ألوان التفسير، ويمكننا أن نحدد ذلك بالسؤالين الآتيين:

س1: ما مفهوم التفسير الموضوعي؟ وماذا يميزه عن غيره من أنواع التفسير؟

س2: كيف نُفَسِّر سورة الفيل تفسيرا موضوعيًا كأنموذج تطبيقي على تفسير السورة القرآنية ؟

حدود البحث:

سورة الفيل مع إبراز مفاهيم ومصطلحات متعلقة بالتفسير الموضوعي.

منهجية البحث:

يتناسب مع هذا البحث استعمال المنهجين الوصفي والتحليلي للوصول إلى الغاية المرجوة، كما يمكن بهما تحقيق الإجابة على إشكالية البحث بدقة.

الدراسات السابقة:

برزت دراسات قرآنية كثيرة تتحدث عن التفسير الموضوعي من حيث المفهوم والأهمية والنشأة والأنواع؛ إلا أنها تباينت في تحديد ماهية التفسير الموضوعي كمنهج أو طريقة جديدة من طرق التفسير أو أداة من أدواته، وهو ما تناول البحث إيضاحه مع ربط ذلك بتفسير سورة الفيل كأنموذج تطبيقي بتفسيرها تفسيرًا موضوعيًا، وهو فارق بسيط بين تلك الدراسات التأصيلية المعمقة وبين ما يقدمه هذا البحث، ولم أجد – في حدود علمي وإطلاعي – أحدًا بحث هذا العنوان كدراسة تطبيقية من الناحية الموضوعية كأنموذج على نوع التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، مع أن جمعًا من المفسرين والباحثين تناولوا سورة الفيل تفسيرًا بيانيًا وتحليليًا.

المبحث الأول: مفهوم التفسير الموضوعي

إن التعريف بمصطلح التفسير الموضوعي ينطلق من معنيين هما:

أ– معنى إضافي: ويقصد بالمعنى الإضافي: المضاف والمضاف إليه – أي التفسير الموضوعي.

ب– معنى موضوعي: ويقصد **بالمعنى الموضوعي** :أي أصبح (المضاف والمضاف إليه) علماً بذاته يدل على موضوع قائم بذاته، أو فناً تم تدوينه وتبويبه على مباحث خاصة جمعت وتميزت عن بقية العلوم المتعلقة بهذا الفن، ولذلك فالتعريف اللغوي للتفسير ككلمة استوعبتها معاجم اللغة التي فَصَّلَت ذلك تفصيلاً باعتبار مصدرها فَسَرَ، وأما التعريف للتفسير الموضوعي باعتباره مركباً إضافياً فإن له تعريفات عديدة اهتم بها أصحاب هذا الفن، وفي موضعه سنبين ذلك تفصيلاً.

المطلب الأول: تعريف التفسير:

لكي تكون لنا الرؤية واضحة في التعريف بالتفسير الموضوعي يجدر بنا معرفة تعريفه في اللغة بالاعتماد على معاجم اللغة المهتمة بذلك، ولنبدأ في تعريف كلمة التفسير باعتبار المصطلح يتضمن جزأين مركبين تركيباً وصفياً.

البند الأول: تعريف التفسير في اللغة:

كلمة التفسير في اللغة مشتقة من كلمة فَسَرَ من الفَسْر، وهو الكشف والبيان والوضوح، أي كشف المراد عن اللفظ المشكل[2].

وعند الراغب الأصفهاني: إظهار المعنى المعقول، والتفسير مبالغة من الفسر[3].

وقيل أصل التفسير من التَّفْسِرَة، وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض[4].

2 ينظر: ابن منظور: لسان العرب 55/5 .

3 الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن 1412ه: ص 636.

4 الجوهري: الصحاح1987م: 781/2، والأزهري: تهذيب اللغة 2001م: 283/12، وابن منظور: لسان العرب 55/5، والزبيدي: تاج العروس 323/13 مادة فسر)، كذلك المُفَسِّر يكشف عن شأن الآية وقصتها (البغوي: معالم التنزيل1997م:10/1.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (سورة الفرقان: الآية 33) أي أحسن بياناً وتوضيحاً وكشفاً للمعنى المطلوب وتفصيلاً.

البند الثاني: تعريف التفسير في الاصطلاح:

التفسير في الاصطلاح هو: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[5].

وهناك عدة تعريفات وردت عند أهل العلم للتفسير اصطلاحاً نذكرها كالآتي:

1- ما ينبني عليه غيره في علم القرآن العظيم.

2- علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب، وغير ذلك، كمعرفة النسخ وسبب النزول، ولما به توضيح المقام كالقصة والمثل.

3- علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية.

4- بيان كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

5- علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والاشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مَكِّيِّهَا ومَدَنِيِّهَا، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصِّها وعامِّها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

6- علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده، وأدائه وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، والمتعلقة بالأحكام[6].

ولعلنا نأخذ بالتعريف الأول الذي ذكره الزركشي، لأن تعدد التعريفات شكلي ولا تختلف عن بعضها بعضاً إلا من باب التوسعة بإدخال بعض التفصيلات في التعريف، أو انحصار بعضها من حيث الدلالة، وشتان بين المعنى وبين دلالته.

فالقول بأن التفسير علم أي: المعارف التصورية، لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظه، وذلك من قبيل التعريفات، لكن أكثرها؛ بل كلها من قبيل التعريفات اللفظية، وقد يكون التفسير في بعض جوانبه من التصديقات، لتضمنه حكماً على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني التي تذكر بجانبها من التفسير، والقائلين بهذا الرأي قليل جداً.

ويقصد بقوله" يُعرف به فهم كتاب الله " قيد خرج به ما يفهم من غيره من الكتب والعلوم التي حشرت في التفسير وليست منه[7].

---

5 الزركشي: البرهان في علوم القرآن1957م: 13/1.

6 ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن 1974م: 194/4، والزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن2001م: 7/2، والطيار: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط 1427ه:65/1-68.

7 ينظر: ابن باديس: مجالس التذكير 2003م: فقد كتب العلامة الجزائري المحقق البشير الإبراهيمي رحمه الله في تعليقه على تفسير مجالس التذكير لابن باديس حول فهم معاني القرآن وأحكامه وحكمه وذلك في كلامه على خصائص تفسير العلامة ابن باديس ص17.

وبيان معانيه أي: المتعلقة بألفاظه ما يشبه الفصل والوصل، ومعانيه المتعلقة بأحكامه من قبيل العموم والخصوص والإحكام والنسخ وغيرها.

واستخراج أحكامه أي: الأحكام الشرعية التي تنص عن حكم الله في مسألة ما.

وَحِكَمِه أي: الحِكَم التي يشير إليها ويدل على فضلها وأهميتها كفضائل الأخلاق والأعمال.

المطلب الثاني: تعريف كلمة " الموضوعي ":

البند الأول: التعريف اللغوي

كلمة الموضوع لغة: من الوَضْع، وهو وضع الشيء في المكان، أي تثبيته، ونقول حين البناء ضع الحَجَر واللَّبْن غير هذه الوضعة، أي ثبتها في مكانها المناسب، ويقال: الوَضْعَة والوِضْعَة والضَّعَة وكله بمعنى واحد[8].

وهذا ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر لا يتجاوز موضوعاً معيناً بذاته إلى غيره حتى يتحصل على المعنى المراد منه في إطار وحدة موضوعية مترابطة.

البند الثاني: التعريف الاصطلاحي

كلمة " **الموضوع** " اصطلاحاً: أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم[9]، ولعل بعض يتوهم من حيث المعنى بأن مصطلح التفسير الموضوعي ومصطلح التفسير الموضعي أنهما بمعنى واحد، والأمر أن بينهما اختلاف واضح.

فالتفسير الموضوعي يبحث في قضية، أو موضوع، أو كلمة وردت في القرآن الكريم فيتتبعها جمعاً ودراسة تفسيرية تعالج واقع الناس ومشكلاتهم الحياتية.

أما التفسير الموضعي فيقصد به التفسير التحليلي(التجزيئي) الذي يهتم بالمفردة القرآنية في موضعها فيوضحها لفظاً ومعنى، وهكذا في السورة الواحدة آية آية، فهو يقع في موضع الكلمة، أو الآية بالتتابع والتسلسل في إطار الآية أو السورة.

المطلب الثالث: تعريف التفسير الموضوعي باعتباره مركباً وصفيًا إضافيًا:

هناك عدة تعريفات عَرَّفَت التفسير الموضوعي باعتباره علماً على فن معين، وتعددت تلك التعريفات لأنه من المصطلحات المعاصرة التي لم يتطرق إليها الأقدمون باعتبار التركيب، وإن كانوا قد استوعبوا وفَصَّلوا من حيث التجزيء.

وسنذكر بعض التعريفات:

8 ابن منظور: لسان العرب396/8 مادة وضع.

9 ينظر: سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي2011م: ص20.

1– هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

2– هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية من زاوية قرآنية للخروج بنظرة قرآنية بصدده.

3– هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

4– هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع[10].

5– هو منهج مستحدث في دراسة القرآن يستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة من اجتماعية وأخلاقية وكونية وغيرها[11].

وتلك التعريفات على اختلاف ألفاظها إلا أنها تتفق على أن التفسير الموضوعي يتناول موضوعاً واحداً في القرآن كله أو في سورة منه أو أكثر، وفق وحدة موضوعية تترابط مع بعضها بعضاً، في ضوء منهجية محددة لتتحقق الغاية من دراسة الموضوع والبحث فيه.

وإنه من خلال ما سبق من التعريفات وتأسيسًا عليها يمكن أن نُعَرِّفَ التفسير الموضوعي بأنه: علم يهتم بكشف وبيان المقاصد القرآنية الجزئية والكلية من خلال ألفاظ القرآن ومعانيه في سياق موضوع معين.

فقولنا " علم " يستلزم قيامه على مبادئ وأسس علمية في ضوء علمي الرواية والدراية، وهو معرفة تصورية في غالبه، وفي بعض منه يكون معرفة تصديقية مع إمعان الفكر والعقل.

ونقصد بقولنا " يهتم بكشف وبيان المقاصد القرآنية " توضيح المقاصد الأصولية والعلمية والفكرية وغيرها من المقاصد ذات الاهتمام بالتصور الكوني عن الله والكون والحياة.

ونقصد بقولنا " الجزئية والكلية " علم الأصول والفروع وأسباب النزول وما يتعلق بذلك.

ونقصد بقولنا " من خلال ألفاظ القرآن ومعانيه " من خلال ألفاظ كلمات القرآن في علم القراءات والتجويد وغيرها، وبنية الكلمة ودلالتها البلاغية والإبداعية، وكذا معاني تلك الألفاظ وما تؤول إليه من غايات، وكذا أساليب القرآن من خلال لفظه ومعناه ومفرداته وتراكيبه[12].

ونقصد بقولنا " في سياق موضوع معين " أي تحديد الموضوع المراد تفسيره تفصيلاً، أو إجمالاً بحيث يتناول قضية أو مجالاً بعينه[13].

10 مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي2009م: ص16.
11 رحماني: مصادر التفسير الموضوعي1998م: ص26.
12 ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن 2001م: 253/2 .
13 لمزيد معرفة عن السياق ودوره ينظر: الخولي: التعريض في القرآن الكريم 2004م: ص99.

المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وأهميته

التفسير الموضوعي مصطلح معاصر من حيث التسمية، إلا أنه موجود من الناحية التطبيقية منذ عصر التنزيل في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد مر هذا اللون من التفسير بمراحل كثيرة من جمع وترتيب تحت عنوان التفسير، ثم ظهرت دراسات تهتم بفنون التفسير، ومنها ما اهتم بموضوع محدد في القرآن، ولذلك يرى بعض الباحثين أن التفسير الموضوعي لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر الهجري، كمادة من ضمن متطلبات مواد التفسير بالأزهر، وهذا القول لا يمكن التعويل عليه كثيراً، لاسيما من حيث المضمون، وأما من حيث الشكل فيمكننا التسليم بأن هذه التسمية لم تشتهر إلا في بداية هذا القرن.

وفي عصرنا الحاضر انتشر التفسير الموضوعي بين المختصين وطلبة العلم، ولذلك الانتشار أسبابه العلمية والعملية، فالعلمية انتشار وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة التي سهلت إبراز المؤلفات والإصدارات العلمية المتنوعة، وأما العملية فكانت بانتشار التخصصات الدقيقة، والاهتمام بالدراسات النوعية، والاعتناء بمصادر البحث الكمي والنوعي، كل ذلك ساعد على انتشار التفسير الموضوعي بهذا المسمى، ويمكن تقسيم نشأته إلى ثلاث مراحل:

المطلب الأول: مرحلة عصر التنزيل

إننا لو نظرنا إلى السنة النبوية بدقة وتحقيق لوجدنا أدلة على وجود التفسير الموضوعي كلبنة من لبنات علم التفسير، ففي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية 82) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وآله وسلم– وَقَالُوا أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة لقمان: الآية 13)[14].

فإيضاح النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الظلم في الآية المتقدمة تأسس على سياق ورود الظلم في آية أخرى، إذ معاني الظلم تتغاير مع معنى الشرك في مواضع أخرى، فهي خاضعة لسياق النص القرآني، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية 23) فإن الظلم في هذه الآية معناه الإساءة والمعصية، وليس معناه الشرك.

قال الإمام الطبري:(قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدونا وعدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه)[15].

أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية 229) فالظلم في الآية بمعنى التجاوز بوضع الشيء في غير موضعه[16].

14 أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم برقم(32)، وكتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾(النساء: 125) برقم(3360)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان: باب صدق الإيمان وإخلاصه برقم(342).

15 الطبري: جامع البيان 2000م: 58/4.

16 ينظر: ابن قتيبة: غريب الحديث 1397ه: 84/2، والطبري: جامع البيان 2000م: 284/4.

وهناك شاهد آخر ولعله يختلف عن سابقيه، لكنه يعطينا مثالاً عن دقة دلالة لفظ الكلمة ومعناها، وإن لم يجتمع في الآية الواحدة، ففي الصحيح أن رسو ل الله صلى الله عليه وآله وسلم فَسَّرَ مفاتيح الغيب في قوله تعالى:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية 59) فقال مفاتيح الغيب خمس:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة لقمان: الآية 34)[17].

ومثال آخر يبين لنا طريقة من الطرق التي سلكها حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه في التفسير الموضوعي حينما جمع الآيات التي تختلف من حيث اللفظ ولكنها تتفق في المعنى صراحة، أو كناية، أو تعريضاً، وكانت هذه الآيات مثاراً للتساؤل والتوهم بوجود تعارض بينها.

فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ:﴿ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101]،﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: 27] ﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]،﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟ وَقَالَ:﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: 27] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30] فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ:﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11] فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ وَقَالَ:﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96]، ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56]، ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا) [النساء: 58] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ فَقَالَ:﴿ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: 101]: " فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ:﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) [الزمر:68] فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ،﴿ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) [الصافات: 27] وَأَمَّا قَوْلُهُ:﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]،﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلاَصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ المُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لاَ يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ:﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ([البقرة: 105] الآيَةَ، وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَدَحْوُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاءَ وَالمَرْعَى، وَخَلَقَ الجِبَالَ وَالجِمَالَ وَالآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:﴿ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30]، وَقَوْلُهُ:﴿ خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9]، فَجُعِلَتِ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ،﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96] سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلاَ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ القُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)[18].

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره العلامة مصطفى مسلم بقوله:(ومن أبرز تلكم الأمثلة قوله تعالى في سورة النحل:﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (سورة النحل: الآية 118).

17 أخرجه البخاري: كتاب التفسير: باب وعنده مفاتح الغيب برقم(4627) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.
18 البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير: تفسير سورة السجدة- من دون رقم للحديث.

فقد أفادت الآية الكريمة أن ما حُرِّم على اليهود قد قصَّه الله سبحانه وتعالى على نبيه، وبالرجوع إلى الآية التي ورد فيها ذكر المحرمات عليهم، نجد أن آية الأنعام قد فصَّلت هذه الإجمال وأزالت ذاك الإبهام في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (سورة الأنعام: الآية 146).

وكذلك ما يتعلق بالمحرمات من بهيمة الأنعام على هذه الأمة نجد في ذلك عدة آيات: كقوله تعالى:﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة المائدة: الآية 1).

وقد جاء تفصيل هذه المحرمات في عدة آيات كقوله تعالى:﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ)(سورة الأنعام: الآية 145) ، وقوله تعالى﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴿172﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: الآيات 172–173).

وقوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (سورة المائدة: الآية 3)[19].

إذن في هذه المرحلة نجد اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتفسير ما يتعلق بموضوع معين في القرآن ببيانه من القرآن، وكذا اهتمام صحابته ومن بعدهم، ويجدر بنا أن ننقل ما ذكره الإمام الطبري: عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه فَسَّرَ السقف بالسماء في قوله تعالى:﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ (سورة الطور: الآية 5) واستدل على ذلك المعنى بقوله الله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ (سورة الأنبياء: الآية 32)[20].

المطلب الثاني: مرحلة عصر التدوين

في هذه المرحلة اكتسب التفسير الموضوعي أهمية كبيرة بين التفاسير، يظهر ذلك من خلال ظهور تدوينه في مؤلفات اهتمت بجانب من جوانب التفسير الموضوعي؛ بل ـ إن صح التعبير ـ اهتمت بلازم من لوازمه وإن اختلفت الأسماء لتلك المؤلفات، فكان أثر تلك المؤلفات أن أعطت التفسير الموضوعي مجالاً من الظهور والانتشار والاهتمام والتأليف، وكانت باكورة تلك المؤلفات على مشارف انتهاء القرن الهجري الأول كإحدى منجزات التدوين، مع اتصافها بعلوم القرآن في معظمها وإن كان بعضها قد تناول موضوعاً فيما يخص القرآن ومن هذه المؤلفات:

1. الناسخ والمنسوخ في القرآن لقتادة بن دعامة السدوسي المتوفى118هـ.
2. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى 210هـ.
3. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم المتوفى224هـ.

19 مباحث في التفسير الموضوعي2009م: ص18.
20 الطبري: جامع البيان2000م: 458/22 .

4. أسباب النزول لعلي بن المديني المتوفى234هـ.
5. فهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي المتوفى243هـ.
6. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة المتوفى276هـ.
7. أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق القاضي المتوفى285هـ.
8. الحاوي في علوم القرآن لمحمد بن خلف المرزبان المتوفى309هـ.
9. أحكام القرآن للإمام الطحاوي المتوفى321هـ.
10. أحكام القرآن لأبي بكر الجصَّاص المتوفى370هـ.
11. البرهان في علوم القرآن لعلي بن إبراهيم الحوفي المتوفى430هـ.

وهو كتاب تفسير(يقع في 30 مجلدًا) كما قال الزرقاني، يشرح فيه الحوفي الآية بالمأثور والمعقول[21].

12. البحر الكبير في نخب التفسير لأحمد بن محمد بن منصور الجذامي(ابن المُنَيِّر) المتوفى683هـ.
13. أقسام القرآن لابن القيم المتوفى751هـ.

وهناك أعلام أفذاذ سبقوا بعض من ذكرناهم آنفاً في التفسير، وإن كان اهتمامهم به في جملة عنايتهم بالحديث كأمثال: شعبة بن الحجاج المتوفى160هـ، ووكيع بن الجراح المتوفى197هـ، وسفيان بن عيينة المتوفى198هـ، ورَوح بن عبادة البصري المتوفى205هـ، ويزيد بن هارون السلمي المتوفى206هـ، و وآدم بن أبي إياس المتوفى220هـ، وعبد بن حميد المتوفى249هـ، وغيرهم، لكن مع الأسف الشديد لم يصل إلينا من تفاسيرهم شيء إلا ما كان منقولاً عنهم بالسند في طيات التفاسير التي جاءت من بعدهم[22]، مع أنه وصلنا تفسير مجاهد المتوفى104هـ، وتفسير مقاتل المتوفى 150هـ، وتفسير عبدالرزاق الصنعاني211هـ، وتفسير ابن ماجة المتوفى273هـ، وإن كان قد جمعها آخرون عدا ما جزم به العلماء والأئمة في القديم والحديث بأن أول تفسير وصل إلينا وصحت نسبته إلى مؤلفه هو جامع البيان في تأويل أي القرآن لابن جرير الطبري المتوفى310هـ.

هذا ويقال أن سعيد بن جبير المتوفى94هـ، كتب تفسيراً كاملاً للقرآن، وعمرو بن عبيد المتوفى 144هـ شيخ المعتزلة كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري المتوفى110هـ، ولكن لم يصلنا ذلكما التفسيران، وقد يرجع ذلك لأسباب التدوين الذي لم يكن قد بلغ مداه في التطبيق والاستعمال، أو إلى إتلاف المخطوطات والإضرار بها نتيجة الحروب كما حصل لمدينة بغداد حين غزاها جيش المغول بقيادة هولاكو خان في 656هـ، فدمرها وأباد معظم سكانها، وأضرم النار في بيت الحكمة التي تحوي أعظم مكتبات العالم القديم آنذاك، وألقى بالكتب في نهري دجلة والفرات[23].

21 ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن 1397ه: 35/1.
22 ينظر: الذهبي: التفسير والمفسرون2003م: 141/1، والقطان: مباحث في علوم القرآن1998م: 340.
23 ينظر: ابن الطقطقي: تاريخ الدول الإسلامية 1997م: ص333.

وإن كانت هناك اهتمامات للمدونين تركزت في السير والمغازي وأخبار الأمم السابقة، ولكن ثمة سبب آخر قد يكون له علاقة بعدم وصول مثل تلك التفاسير إلينا، إما لاندثار تلك المؤلفات مع أحداث الفتن التي عصفت بالمسلمين في عصور متفرقة بدءًا بفتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا سبب محتمل، وإما أن تلك التفاسير عن أصحابها لم تكن مدونة كتابياً، إنما هي معتمدة على الذاكرة، وتلقاها الآخرون مشافهة أو سماعاً، وهذا احتمال وارد أيضاً مع وجود ما يدحضه من أن الصحابة ومن بعدهم بدأوا في التدوين مبكراً.

فقد أورد ابن سعد والخطيب البغدادي أن بعض التابعين كانوا يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء بن عازب وهو صحابي جليل، كذلك عن عبيد الله بن أبي رافع أنه قال:" كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم كذا ؟ وما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها[24]، مما يدل على وجود التدوين وانتشاره بين الصحابة الكرام وشيوعه بين التابعين، وعلى كلٍ فإن تلك المؤلفات التي ذكرناها في بداية هذا المبحث تعد لبنة مهمة في ترسيخ بدايات التفسير الموضوعي كعلم له أسسه وأساليبه.

ومما يحسن الإشارة إليه والتنبيه عليه بأن ذكرنا لتلك المؤلفات للاستناد على نشأة التفسير الموضوعي كان على سبيل التمثيل لا الحصر، لأن هناك مؤلفات كثيرة سلكت هذا المسلك فبعضها ظهر للعيان بطباعته، وبعضها ما يزال مخطوطًا، أو قد اندرست من جملة ما اندرس واحترق أو ذاب نتيجة الصراعات والفتن في مختلف العصور، وما حصل لمدينة بغداد من المغول عنا ببعيد.

هذا وقد جاء في عصور متقدمة من اهتم بالتفسير جملة وإن كان ذلك يعد اهتماماً بعلم التفسير ككل؛ إلا أن ذلك لا يخلو من وجود التفسير الموضوعي بين جنباته لاسيما إذا اعتبرنا بأن التفسير التحليلي(التجزيئي) يعد أساساً متيناً للتفسير الموضوعي، و نجد الإمام البيضاوي في تفسيره يعطينا لمحة عن التفسير الموضوعي، فقال عند تفسير سورة الفاتحة الآية:﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (سورة الفاتحة: الآية 7) قيل: الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ اليهود لقوله تعالى فيهم: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾(سورة المائدة: الآية 60) والضَّالِّينَ النصارى لقوله تعالى:﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً﴾ (سورة المائدة: الآية 77)[25]، وقد سلك المسلك نفسه الإمام النسفي أيضًا[26].

ولنختم كلامنا بما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره، وهو يعطينا إشارة إلى الاهتمام بالتفسير الموضوعي الذي يتناول موضوعاً في القرآن، كموضوع الأمثال، فيقول عند تفسيره سورة البقرة الآية:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (سورة البقرة: الآية 26) فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلًا، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة، كما لا يستنكف عن خلقها، كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا

24 ينظر: ابن سعد: الطبقات1968م: 371/2، والبغدادي: تقييد العلم 1974م: ص91- 102.
25 البيضاوي: أنوار التنزيل 1418ه: 31/1.
26 النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل 1998م: 33/1.

ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (سورة الحج: الآية 73) وقال:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(سورة العنكبوت: الآية 41).

وقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة إبراهيم: الآيات 24– 27).

وقال تعالى:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل: الآية 75) ثم قال:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة النحل: الآية 76).

كما قال تعالى:﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الروم: الآية 28) وقال تعالى:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر : الآية 29)، وقال:﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: الآية43) وفي القرآن أمثال كثيرة[27]).

فإذن رأينا كيف استخدم الأئمة البيضاوي والنسفي وابن كثير الاستشهاد بالقرآن على تفسير القرآن بالقرآن في سياق ورود الكلمة أو الموضوع، وإن كانت تعتبر إشارات بسيطة في تفسيرهم ليدل على وجود التفسير الموضوعي وتعمقه زماناً في مضامين كتب التفسير.

المطلب الثالث: مرحلة عصر النهضة الحديثة

يقول العلامة الذهبي:(أما في عصرنا الحاضر فقد غلب اللون الأدبي الاجتماعي على التفسير، ووجدت بعض محاولات علمية في كثير منها تكلف ظاهر وغلو كبير، أما اللون المذهبي فقد بقي سنة إلى يومنا هذا بمقدار ما بقي من المذاهب الإسلامية)[28].

وقد أشار إلى ذلك العلامة مناع القطان بقوله:(فانتحى كثير من المفسرين منحى جديداً في العناية بطلاوة الأسلوب، وحسن العبارة، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية، والأفكار المعاصرة، والمذاهب الحديثة، فكان التفسير الأدبي

27 تفسير القرآن العظيم 1999م: 208/1.
28 التفسير والمفسرون2003م:149/1.

الاجتماعي، ومن هؤلاء محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، وسيد قطب، ومحمد عزة دروزة)[29].

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن عصر النهضة الحديثة استوعب جملة من العلوم المتخصصة في اللغة والأدب والمعاجم والمسانيد والموسوعات، وقد كان للتفسير عموماً وللتفسير الموضوعي خصوصاً نصيبًا وافرًا من ذلك، ولم ينحصر التفسير الموضوعي على الجانب الاجتماعي فحسب؛ بل توسع ليشمل أنواع العلوم النفسية والتربوية والتطبيقية وعلم البحار والأنهار وغيرها، ليبرز لنا ولوج التفسير الموضوعي في هذه العلوم التي سلك بعض الأقدمين فيها على استحياء مخافة أن يأتوا شيئاً في كتاب الله لم يأذن به الله، ولا تطيقه ألفاظ القرآن، ولا تدل عليه معانيه لا حقيقة ولا مجازاً ولا تعريضاً.

ومما يحسب للأقدمين أنهم وضعوا أصولاً لمن بعدهم، وتركوا تفصيلات تلك الأصول ليقف عليها المتأخرون من بعدهم عبر الزمان، ولا غرو إذن أن يتشجع بعض العلماء المعاصرين ـ على خوف ووجل ـ أن يخوضوا ميدان التفسير الموضوعي ليخرجوه من دائرة لفظ الكلمة ودلالة المعنى في إطار البيان اللغوي إلى بحر من الدلالات المتعددة اللغوية منها المنطوقة والمفهومة إلى الدلالات الاستنباطية التي تخضع للسياق مع إمعان الفكر في إطار الوحدة الموضوعية لموضوع ما من المواضيع التي تحدث عنها القرآن أو أشار إليها.

هذا وقد استطاع علماء عصر النهضة بفكهم للقيود أو الحواجز التي امتنع من تجاوزها بعض من سلف حذر الإتيان بشيء مخالف للنقل غير مسوغ للعقل، فإن التفسير بهذا الإحجام قد أصابه الركود والجمود بعيدًا عن التجديد والابتكار المضبوط بضوابط نقلية وعقلية.

وهو ما نبه عليه العلامة الذهبي بقوله:(وبقي التفسير واقفًا عند هذه المرحلة– مرحلة الركود والجمود– لا يتعداها، ولا يحاول التخلص منها، حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة– وإن كان لها اعتماد كبير على ما دوَّنه الأوائل في التفسير– أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيرًا لا يسعنا إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية، التي حشرت في التفسير حشرًا ومزجت به على غير ضرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوبًا أدبيًا اجتماعيًا، يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما وجد من نظريات علمية صحيحة على تفاوت بين الموقفين في الغلو والاعتدال)[30].

29 مباحث في علوم القرآن1998م: ص 346.
30 التفسير والمفسرون2003م:495/2.

ولعل في هذا العصر اتسعت دائرة التفسير الموضوعي لتشمل الموضوعات العلمية والهندسية والعسكرية والأمنية والتربوية والسياسية والاقتصادية والقضائية وغيرها من الموضوعات التي عالج القرآن فيها الآفات الاجتماعية، كما أن العلوم الكونية التي سبق القرآن غيره ممن ادعى البراءة في اكتشافه لها، كان لها النصيب الأوفر، فنجد النزعة العلمية واضحة للعيان في بعض جوانب التفسير الموضوعي، ونجد النزعة الاجتماعية في بعض آخر، وكذا التربوية منها، والاقتصادية والعسكرية.

إن التفسير الموضوعي في عصر النهضة قد وجد له مرتعًا خصبًا في تتبع موضوعات القرآن لا لمجرد التتبع فحسب؛ وإنما لإظهار شمول القرآن وإحاطته بجوانب الحياة، وأن القرآن دستور رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سقطت أمامه النظريات، وتلاشت لعظمته الفلسفات، وخمدت لأحكامه العبقريات.

إذن لا جدوى من الدوران في مكان واحد مستدير، فلا بد من الحركة من كل الجهات أصلًا وفرعًا مع إيضاح ما يتعلق بذلك المكان من زمن ومحيط معيش، وهذا ما استوعبه التفسير الموضوعي.

ولا يمكننا بعين المتفحص المنصف أن نستغني عما جاء به السلف ونضرب عنه صفحًا، ولكننا نعتبر جهدهم أصولًا سلكنا فيها بما تطلبه العصر، ومزجنا فيها ما أدركه العقل السليم، غير متجردين عن اللغة والبيان، وما يتطلب من عملية إقدام وإحجام عند الولوج لتفسير كتاب الله، دون أن يطغى جانب عن جانب، سواء كان ذلك في الإعجاز اللغوي أم البياني أم الغيبي أم التشريعي أم العلمي، فهذه الميادين مهمة في التفسير الموضوعي ولا يقل ميدان منها من الأهمية والدراسة والبحث والتحقيق عن ميدان آخر.

يقول العلامة الكواكبي:(وإني أُمَثِّل للمطالعين ما فعله الاستبداد في الإسلام، بما حجر على العلماء الحكماء من أن يفسروا قسمي الآلاء والأخلاق تفسيراً مدقِّقاً، لأنهم كانوا يخافون مخالفة رأي بعض الغُفَّل السالفين أو بعض المنافقين المقرَّبين المعاصرين، فَيُكَفَّرُون فَيُقْتَلُون، وهذه مسألة إعجاز القرآن، وهي أهم مسألة في الدِّين لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله فيها بعض السلف قولاً مجملاً من أنَّها قصور الطاقة عن الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته، وأنَّه أخبر عن أنَّ الروم بعد غلبهم سيغلبون، مع أنه لو فُتح للعلماء ميدان التدقيق وحرية الرأي والتأليف، كما أُطلق عنان التخريف لأهل التأويل والحُكم، لأظهروا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات الإعجاز)[31].

ويقول العلامة ابن باديس:(وكان جمود وكان ركود، وضرب التقليد بجرانه– أي ثبت واستقر–، فقضى على ذكاء الأذكياء وفهم الفهماء، إلى أن أذن الله للعقل الإسلامي أن ينفلت من عقال التقليد، ويستقل في الفهم، وللنهضة العلمية الاسلامية أن يتبلج فجرها، ويعم نورها)[32].

تلك نظرة بعض علماء النهضة الحديثة لميدان التفسير والركود الذي أصابه، مع أننا لا نُسَلِّم بكل ما أوردناه من كلام العلامة الكواكبي، لأن التفسير في زماننا تعددت ميادينه فلم يعد يدور في فلك ما سبق من التفاسير إلا من

31 طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ص34.
32 مجالس التذكير2003م: ص19.

باب الاعتماد على ما صح، ويمكن الاعتماد عليه رواية ودراية، ولم يعد محصورًا الولوج في ميدان التفسير العلمي وغيره من الميادين؛ بل توسعت دائرة البحث والتحقيق في كل ما يمكن أن يخدم فيه التفسير الموضوعي، فدخلت مواضيع الحرب والسلم والتكنولوجيا والهندسة وغيرها في ميدان التفسير، وطرقها بالبحث والدراسة والتفصيل، وازدهرت المكتبة الاسلامية بأعداد كثيرة من الموضوعات الحياتية المعاصرة، وكلما اكتشف الجديد من الحقائق والموضوعات إلا وتسارع إليها المتخصصون بالدراسة والتحقيق والبيان مع الاعتماد على الموروث التفسيري للسلف رحمهم الله.

وممن يحسب له الأخذ بالاعتماد على الموروث التفسيري للأوائل ليكون لبنة ممتزجة بالتفسير الموضوعي العلامة محمد باقر الصدر وهو من علماء هذا العصر السابقين في تأصيل التفسير الموضوعي حيث يقول:(فالتفسير الموضوعي في المقام هو أفضل الاتجاهين في التفسير؛ إلا أن هذا لا ينبغي أن يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، هذه الأفضلية لا تعني استبدال اتجاه، وطرح التفسير التجزيئي رأسًا، والأخذ بالتفسير الموضوعي، وإنما إضافة اتجاه إلى اتجاه، لأن التفسير الموضوعي ليس إلا خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئي باتجاه الموضوعي، إذن فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال، وإنما هي مسألة ضم الاتجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتجاه التجزيئي، يعني افتراض خطوتين: خطوة هي التفسير التجزيئي وخطوة أخرى هي التفسير الموضوعي)[33].

ومما يستنبط من كلام العلامة الصدر أن التفسير الموضوعي موجود وملازم للتفسير التحليلي منذ عصر التنزيل، إذ عَدَّهُ خطوة إلى الإمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، وهذا يفهم منه امتداد التفسير الموضوعي من حيث النشأة منذ نشأة التفسير كعلم قائم بذاته له أسسه وأصوله وميادينه.

المطلب الرابع: أنواع التفسير الموضوعي

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع أو ألوان كما يلي:

1. التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني: ويتناول هذا النوع المصطلحات والمفردات القرآنية.
2. التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: ويتناول هذا النوع الموضوعات العامة التي وردت في القرآن وتخص البشرية كافة، وهو أعم من النوعين الأول والثالث.
3. التفسير الموضوعي للسورة القرآنية: وهذا النوع يتناول سورة من سور القرآن فيدرسها دراسة موضوعية متكاملة بشرح محاورها ومعانيها وغاياتها.

والأخير هو الذي نحن بصدد إبرازه من خلال تفسير سورة الفيل كأنموذج تطبيقي عليه.

المطلب الخامس: أهمية التفسير الموضوعي

33 المدرسة القرآنية1981م: ص37.

كان تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلًا لمشكل وقع فيه أحد الصحابة، أو جوابًا لسؤال تقدم به أحدهم، وهكذا كان للتفسير بالغ الأثر في حل المشكلات، وتفكيك المعضلات، وشرح المبهمات منذ عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر.

ومما لا شك فيه أن المشكلات الحياتية تتعاظم وتختلف عن بعضها بعضًا، فما لم يظهر قديمًا ظهر حاضرًا، فظهرت مشكلات لم تكن في سابق العهود، مما يتطلب إيجاد حلول لتلك المشكلات وفق ما جاء به القرآن، ولن يقوم بذلك– فيما نظنه– إلا التفسير الموضوعي الذي يهتم بدراسة الموضوع أو القضية من جميع الجوانب، إذ الألوان الأخرى من التفسير تهتم ببعض جوانب الموضوع كالتفسير الإجمالي أو المقارن أو التحليلي.

لذا يمكن لنا أن نبرز أهمية التفسير الموضوعي فيما يلي:

1. التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة عديدة، ومن المتفق عليه أيضاً أن حل هذه المشكلات أساساً في القرآن، وعندما يبحث الباحثون في التفسير الموضوعي، فإنهم يقدمون للمسلمين الحلول القرآنية لمشكلاتهم العديدة.
2. التفسير الموضوعي وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لهذا العرض.
3. التفسير الموضوعي كفيل ببيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً، وإلى الإسلام والقرآن خصوصاً، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته.
4. يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام الأعداء، وتفنيد أفكارهم الجاهلية، وذلك عن طريق التفسير الموضوعي.
5. يتم عرض أبعاد ومجالات وآفاق جديدة لموضوعات القرآن، عن طريق التفسير الموضوعي، وهذه الأبعاد الجديدة لموضوعات القرآن تزيد إقبال المسلمين على القرآن، وتوثق صلتهم.
6. بالتفسير الموضوعي تظهر الحيوية الواقعية للقرآن، وتتحقق المهمة العلمية الحركية للقرآن، فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة، نزلت قبل خمسة عشر قرنًا، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية، تناقش قضايا ومشكلات حية، وتهتم بمسلمين أحياء متحركين، وهذا هو البعد الحي للقرآن الكريم.
7. التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن، ويحقق هذه المقاصد والأولويات القرآنية في حياة المسلمين.
8. التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية، وعرضها أمام الباحثين عرضًا قرآنيًا علميًا منهجيًا، وتصويب هذه الدراسات، وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.

9. التفسير الموضوعي يعيد توثيق الصلة القرآنية بمختلف العلوم الشرعية الإسلامية، ويعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن، وبه يتم إلقاء كل ما لا يتفق مع القرآن في هذه العلوم، العقيدة، البلاغة، النحو، الثقافة والحضارة.
10. التفسير الموضوعي أساس التأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة التي يقبل عليها المثقفون في هذا العصر كعلم النفس وعلم الاجتماع، واللغات.
11. بالتفسير الموضوعي يصل الباحثون إلى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية، والتفاسير السابقة الموضعية التحليلية هي وسيلة إلى هذه الغاية، وتمهيد لهذه النتيجة.
12. أن هذا اللون من التفسير يتفق مع روح العصر الحديث الذي يطالبنا أن نخرج للناس أحكامًا عامة للمجتمع الإسلامي، مصدرها القرآن الكريم في صورة مواد وقوانين مدروسة يسهل تناولها والانفتاح بها.
13. أن الناس يحتاجون إلى هذا اللون لرد الشبهات عن هذا الدين[34].

إذن فليس عجبًا أن نرى اهتمام العلماء في السابق والحاضر بمواضيع التفسير الموضوعي، ويبرز ذلك من خلال الكم الهائل المتنوع في هذا العلم النافع ككتب أو إصدارات ثقافية، أو وسائل علمية تعالج قضية ما[35].

المطلب السادس: أشهر مؤلفاته

تتنوع مؤلفات التفسير الموضوعي – على كثرتها وتنوعها – ما بين دراسة المصطلح القرآني أو الموضوع القرآني أو السورة القرآنية بصورة موضوعية تفصيلية أو عامة متكاملة، أو تتناول جانبًا من جوانب البيان والسياق، ويمكن ذكر بعض أشهر تلك المؤلفات كما يلي:

1. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لمؤلفه برهان الدين البقاعي المتوفى 885هـ.
2. المدرسة القرآنية: لمؤلفه محمد باقر بن حيدر الصدر المتوفى1980م.
3. الأساس في التفسير: لمؤلفه سعيد حوى المتوفى1409هـ/1989م.
4. التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: لمؤلفه أ. د. أحمد السيد الكومي المتوفى1991م.
5. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: لمؤلفه أ.د. محمد الغزالي السقا المتوفى1416هـ.
6. مصادر التفسير الموضوعي أ.د. أحمد بن عثمان رحماني.
7. المدخل إلى التفسير الموضوعي: لمؤلفه أ.د. عبد الستار فتح الله سعيد.
8. مباحث في التفسير الموضوعي: لمؤلفه أ.د. مصطفى مسلم محمد.
9. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: لمؤلفه أ.د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.

34 ينظر: سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي2011م: ص40، مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي2009م: ص31، الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق2001م: ص49، صواب: التفسير الموضوعي2006م: ص20، أياد: مختصر نظرات في التفسير الموضوعي2008م: 63.
35 ينظر: المعلمي: الفتنة في القرآن2015م: 55.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي: تفسير سورة الفيل أنموذجًا

المطلب الأول: نبذة تعريفية عن السورة

- اسم السورة: تسمى سورة الفيل وذلك لورود كلمة الفيل فيها، وتسمى سورة ألم ترى وذلك لابتدائها بالهمزة للاستفهام التقريري التعجيبي[36].
- مكان وتاريخ نزولها: نزلت بمكة بإجماع الرواة، وهي في ترتيب المصحف برقم105 بعد سورة الهمزة، وتأتي بعدها سورة قريش[37].

وهي السورة الثامنة عشرة نزولًا في مكة بعد سورة الكافرون وبعدها سورة الفلق، وليس فيها خلاف في القراءات كما قال الإمام ابن مجاهد، ويرى الإمام الداني أن فيها خلاف في قراءة أبي عمرو وحمزة، وليس فيها ناسخ ومنسوخ لأنها من الأخبار التاريخية وليست من الأحكام[38]، ويمكن أن نستقرأ تاريخ نزولها من خلال ترتيب نزول السور المكية – والتي جاء ترتيبها فيه برقم الثامنة عشر– أي في السنة الخامسة من البعثة النبوية عام 616 م تقريبا، وهي السنة التي هاجر فيها المسلمون الهجرة الأولى إلى الحبشة[39].

- عدد آياتها: خمس آيات .
- مقاصد السورة وأغراضها: أما مقاصدها فهي:

1. تثبيت المؤمنين على عقيدة الحق وحثهم على الصبر من أجل إعلاء كلمة الله.
2. الامتنان على أهل مكة بما حل بالذين انتهكوا حرمتها من الاستئصال.
3. بيان جزاءِ الأَجانب، ومكرهم، وردُّ كيدهم فى نحرهم، وتسليط أَنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين.

وأما أغراضها فإنها: قَدْ تَضَمَّنَتِ التَّذْكِيرَ بِأَنَّ الْكَعْبَةَ حَرَمُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ حَمَاهُ مِمَّنْ أَرَادُوا بِهِ سُوءًا أَوْ أَظْهَرَ غَضَبَهُ عَلَيْهِمْ فَعَذَّبَهُمْ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا بِطَمَعِهِمْ فِي هَدْمِ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ، وَتَنْبِيهُ قُرَيْشٍ أَوْ تَذْكِيرُهُمْ بِمَا ظَهَرَ مِنْ كَرَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ اللَّهِ إِذْ أَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ فِي عَامِ وِلَادَتِهِ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ تَثْبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ الَّذِي دَفَعَ كَيْدَ مَنْ يَكِيدُ لِبَيْتِهِ لَأَحَقُّ بِأَنْ يَدْفَعَ كَيْدَ مَنْ يَكِيدُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينِهِ[40].

- سبب نزولها: ذَكَرَ الإمام الْوَاحِدِيُّ أَنَّهَا: نزَلَتْ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَقَصْدِهِمْ تَخْرِيبَ الْكَعْبَةِ، وَمَا فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ وَصَرْفِهِمْ عَنِ الْبَيْتِ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ، وتعقبه الإمام السيوطي بقوله: فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ

36 ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن1964م:20/ 200، وابن عاشور 1984م: التحرير والتنوير 543/30.
37 ينظر: الزمخشري: الكشاف1407ه: 797/4، وابن عطية: المحرر الوجيز1422ه: 523/5، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن1964م: 187/20.
38 ينظر: الزهري: الناسخ والمنسوخ1998م: 38/1، وابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات1400هـ: 697/1، المقري: الناسخ والمنسوخ1404هـ: 204/1، والداني: جامع البيان في القراءات السبع1428هـ- 2007م: 1722/4.
39 ينظر: شرف الدين: الموسوعة القرآنية- خصائص السور1420هـ: 191/12.
40 ينظر: الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 1393ه- 1416ه: 544/1، وابن عاشور: التحرير والتنوير1984م: 543/30.

أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي شَيْءٍ؛ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْمَاضِيَةِ كَذِكْرِ قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَبِنَاءِ الْبَيْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وقال العلامة أبو شهبة: وهو وهم لا محالة[41].

- ❖ أهم ما تفردت السورة بذكره: قصة تعذيب أصحاب الفيل كحدث تاريخي سابق لفترة النبوة، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي بدأت بقوله تعالى: ألم تر، وهي الوحيدة التي وردت فيها الكلمات الآتية: الفيل– أبابيل– سجيل– كعصف مأكول، ولمرة واحدة لكل منها [42].
- ❖ الوحدة الموضوعية في السورة: نعم الله على عباده كثيرة وعظيمة، فقد حفظ بيته المحرم من الهدم، فخسر المتباهي بسلطانه وقوته وأمواله، فهلك بأضعف مخلوقات الله المنظورة.
- ❖ مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

قبلها سورة الهمزة وبعدها سورة قريش، فأما بما قبلها:

– أنه سبحانه وتعالى لما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا[43].

– أنه بّين في السورة السابقة أن المال لا يغني من الله شيئًا، وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل[44].

– أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر في السورة السابقة ما أعده من العذاب لمن عاب الناس، واغتابهم، وطعن في أعراضهم، وركن إلى الدنيا، وظن أن المال سيخلده، فظلم نفسه، واستحق عذاب الله، ونزل به وعيده وتهديده، وتحطم في الحاطمة المدمرة جهنم وساءت مصيرًا بيَّن سبحانه هنا ما فعله بأصحاب الفيل، وهم الظالمون المعتدون الذين ظلموا أنفسهم، وأغاروا على حرم الله وبيته في مكة المكرمة، فجعل الله لهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فرجعوا خائبين، وارتدوا منكسرين هالكين بعذاب الله تعالى[45].

– أن السورة السابقة حكت عن خسارة صاحب المال ومآله بحبسه في نار جهنم ذات عمد، وهنا حكت عن خسارة السلطان أو القائد، ليكتمل المعنى الحاكي عن ضعف وخسارة من يتقوى بالمال والقوة بالباطل تجاه قدرة الله وجبروته.

– وأما مناسبتها بما بعدها فقيل بأن المعنى:

1. أَهْلَكْتُ أَصْحَابَ الْفِيلِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أَيْ لِتَأْتَلِفَ، أَوْ لِتَتَّفِقَ قُرَيْشٌ، أَوْ لِكَيْ تَأْمَنَ قُرَيْشٌ فَتُؤَلِّفُ رِحْلَتَيْهَا[46].

41 أسباب نزول القرآن 1992م: 464/1، والإتقان في علوم القرآن1974م: 116/1، المدخل لدراسة القرآن2003م: 133/1.
42 ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل1418ه: 339/5.
43 أبو حيان: البحر المحيط 1420هـ: 543/10.
44 المراغي: تفسير المراغي 1946م: 241/30.
45 الهرري: حدائق الروح والريحان 2001م:328/32.
46 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن1964م: 200/20.

- ❖ أن إهلاك الجاحدين المعاندين لإصلاح المقربين العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة بإظهار شرفهم في الدارين[47].
- ❖ قصة السورة: حكت قصة أصحاب الفيل حين تجهز حاكم صنعاء الحبشي النصراني أبرهة بن الصبَّاح الأشرم ليهدم الكعبة المشرفة في مكة بجيش ضخم استغرق حوالي مدة شهر ذهابًا بمسافة تقدر 1148.67 كم تقريبًا، يتقدمه فيل عملاق، حيث كان قد بنى في صنعاء كنيسة القُلّيس– في حي شعوب بصنعاء القديمة وهي حاليًا خربة– ليحج الناس إليها، فدخلها أحد العرب فتغوط فيها وبال، وأصاب من ذلك جدرانها، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة البيت الحرام الذي يحج إليه العرب وسائر الناس، فلما وصل إلى البيت الحرام برك الفيل، فضربوه بالحديد فأبى، ثم صعد الفيل إلى أحد جبال مكة، فجاءت طير من بحر القلزم– البحر الأحمر حاليًا– تحمل ثلاثة أحجار بحجم حبة الحمص فتهوي بها فتسقط على رأس الرجل فتخرقه إلى دبره، فهلك الجيش، وعاد أبرهة كالفرخ، تقطع جسده قطعة قطعة، وهلك في صنعاء، وحمى الله بيته بقدرته وعظمته [48].

المطلب الثاني: تفسير السورة

بسم الله الرحمن الرحيم﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿ 1﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿ 2﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿ 3 ﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿ 4﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴿5﴾ (سورة الفيل1–5).

قال الله تعالى مخاطبًا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو خطاب لأمته وللإنسانية جمعاء ألم تر– وهي رؤية قلبية وجدانية– وهو استفهام تقريري للإثبات، أي ألم تعلم يا محمد بقصة أصحاب الفيل– وعام الفيل سنة571 للميلاد وهو العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم– وكيف فعل الله بهم حين أراد أبرهة والي الحبشة على اليمن وجيشه أن يهدموه، ليصدوا الناس عن حجه، وقد تخيلوه بيتًا من البيوت التي يعيش فيها الناس، ولا يعلمون قدسيته، ومهابته عند الله، فهو بيته المحرم الذي أسسه آدم عليه السلام، ورفع قواعده إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وأكملا بناءه، فصار بيتًا مشهودًا في الأرض والسماء.

ومنذ ذلك الحين والناس يعظمون البيت الحرام ويهابونه، تلك المكانة والمهابة كان أبرهة الحبشي قد سمعها مرارًا من عرب وعجم، لكنه تجاهل ما سمعه وتيقن منه إغترارًا بعدد جيشه وعتاده، وتنصلًا عن الحقيقة التي هي ساطعة كالشمس في وسط النهار، تجهز بجيشه الجرّار الزاحف بجحافله نحو مكة مستغرقًا حوالي مدة شهر، تجاوز خلالها عدة قبائل عربية في طريقه حاولت رده فقاتلته فهزمها، وكلما تجاوز قبيلة منتصرًا ازداد حماسة وغرورًا نحو هدفه، وصل إلى مكة بعد أن رأى أهلها وساداتها صعدوا الجبال والشعاب المحيطة بالبيت الحرام، وأخلوا بينه وبين

47 البقاعي: نظم الدرر- دون تاريخ-: 259/22.
48 ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان2002م: 288/10، والخازن: لباب التأويل1415ه: 470/4، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم1999م: 483/8، والألوسي: روح المعاني1415ه: 465/10.

الكعبة، فوجه فيله العملاق صوب الكعبة ليهدمها في ضربتين أو ثلاث بقرنيه وجسمه الضخم، لكن الفيل كان موحدًا لله أفضل من أبرهة، طائعًا لأمر الله الذي تلقاه بكيفية لا يعقلها أبرهة ولا جيشه ولا من شاهد تلك الحادثة، برك الفيل ممتنعًا عن أداء مهمته التي من أجلها جيء به إلى مكة، فضربوه بالحديد الذي أوقدوا عليه النار فأبى الفيل إلا أن يبرك، وكلما وجهوه إلى غير الكعبة هرول وأسرع، ولكنه إلى الكعبة يرى قدرة الله وعظمته، وتحمل لأجلها عذابًا أليمًا من سائسه، إنه مشهد رهيب مهيب رآه أبرهة فلم يرتدع عن غيه وغروره، ولم يعتبر من موقف الفيل وصلابته تجاه بيت الله الحرام.

ثم يقول تعالى:﴿ **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ﴾ أبطل كيدهم في سعيهم إلى خرب الكعبة وصرف الناس عن الحج إليها فضاعت غايتهم، وخاب هدفهم، وخارت قواهم عند عظمة الله في بيته الحرام،﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ خرجت جنود من جنود الله طيور قادمة من غرب الحجاز من بحر القلزم– البحر الأحمر– وهي جماعات مجتمعة ومتفرقة وكثيرة ومتتابعة– كأنها سرب طائرات جوية– تحمل في منقارها حجرًا وفي أرجلها حجرين، وقد تكون تلك الأحجار تحمل أمراضًا فتاكة لتجمع بين حجم الهلاك بالحجر الصغير وبين ما هو أصغر وأخفى من الحجر، وهي مسرعة في انتظام وترتيب منسق، هذا الجيش المختلف في نوعه وقدومه وحركته ومهمته عن جيوش الأرض، إنها قدرة الله وعظمته تظهر في أضعف مخلوقاته، أدى الجيش الأبابيل الجوي مهمته بدقة مضبوطة لا اضطراب فيها، ولا ضعف فيها، ولا تأخير.

﴿ **تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾ ترميهم رميًا مباشرًا سربًا براجمات حجرية مكونة من طين محروق في حجم حصاة الحمص كأنها صواريخ وقاذفات جوية لا مثيل لها في حجمها وقوتها وسرعتها وإصابتها للهدف، يسقط الحجر من الطير المحلق في الهواء إلى رأس الرجل فيخرقه إلى دبره، وكأن الحجر يعرف صاحبه لا يفارقه إلى غيره، فهو رمي إلهي متقن، وتدبير محكم.

﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ هلك جيش أبرهة في دقائق محدودة فصار كبقايا زرع مأكول أكلته البهائم فتحول بعد الخضرة والنضرة إلى روث يداس بالأقدام، وهي نهاية وخيمة لذلك الجيش الذي بدا يزحف في عتوه وصلفه كالجبال، وانتهت به الحال إلى زرع انتهت صلاحيته بتحوله إلى روث يداس بالأقدام، وخاب أبرهة وهزم شر هزيمة ورجع مصابًا كالفرخ المضروب بالماء والبرد، فتقطع جسده قطعة قطعة، فأسرعوا به إلى صنعاء فهلك فيها.

سورة الفيل التي حكت بخمس آيات عن معركة ابتدأت منذ أول خطواتها زمانًا ومكانًا وإعدادًا في صنعاء، ثم توالت تلك المعركة كلما زحف الجيش الغازي نحو مكة، وصولًا إلى الكعبة المشرفة التي حصلت حولها معجزة الله الخالدة على مدار التاريخ، فجيش في الأرض يغتر بعدده وعتاده، وجيش جوي طير أبابيل مسخر من الله لحماية بيته المحرم، فإذا الضرب الجوي السريع المنظم الدقيق ينهي المعركة في دقيقة واحدة فقضت على جيش أبرهة بالقتل المختوم، والحسم المحتوم.

ويمكن استخلاص عدة مفاهيم من السورة كما يلي:

1. قدرة الله وحكمته في الأخذ بالأسباب عظيمة وقاهرة.
2. عاقبة الظلم والطغيان والعدوان وخيمة.
3. أخذ العظة والعبرة من هلاك ومصير الظالمين.
4. إخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك فلاح في الدنيا والآخرة.
5. مداومة شكر الله على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة.
6. الصراع بين الحق والباطل دائم إلى يوم القيامة.
7. الأمة الإسلامية مستهدفة في ثوابتها ومعالمها وأصولها من الأعداء، وعليها الحيطة وإعداد العدة والقوة للمحافظة على عزتها ومكانتها[49].

الخاتمة:

التفسير الموضوعي مهم في معالجة المشكلات المعاصرة التي تحتاج إلى تأصيل وبحث وفق ضوابط التفسير، وإن من الأهمية بمكان أن يناط بالتفسير الموضوعي في إيجاد الطريقة المثلى في حل ما تعانيه البشرية المتخبطة في البحث عن حلول لمشكلاتها، وهداية القرآن بين يديها، ولا غنى للباحث في التفسير الموضوعي عن التفسير التجزيئي في الإحاطة بالأدوات التفسيرية المناسبة في معالجة قضية ما، وبما أن النظرة في التفسير الموضوعي تستدعي ضبط بعض مفاهيمه ومصطلحاته، وبيان أنواعه وطرقه التفسيرية كلون أو طريقة جديدة من طرق التفسير، مع إيراد جانب تطبيقي أبرزناه بتفسير سورة الفيل تفسيرًا موضوعيًا كأنموذج، كي نحقق أهداف البحث، وقد توصل البحث إلى نتائج كما يلي:

1. يوجد فارق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير الموضوعي.
2. نشأة التفسير الموضوعي كانت منذ عصر التنزيل، ولم يكن بالتسمية المعاصرة.
3. ميادين التفسير الموضوعي تشمل جميع جوانب الحياة.
4. موضوعات التفسير الموضوعي تعالج مشكلات حياتية تعاني منها البشرية.
5. يعتبر التفسير الموضوعي طريقة جديدة في التفسير، وليس منهجًا جديدًا.
6. سورة الفيل حكت عن أحداث فترة زمنية بخمس آيات بأفصح كلام وأبلغ أسلوب.

المصادر والمراجع:

1. **الأزهري محمد أحمد:** تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

49 ينظر: الطبري، جامع البيان2000: 615/24، والماتريدي: تأويلات أهل السنة2005م:295/1، والثعلبي: الكشف والبيان2002م:288/10، والزمخشري: الكشاف1407ه:799/4، وابن عطية: المحرر الوجيز1422ه:523/5، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن1964م:188/20، والخازن: لباب التأويل1415ه:470/4، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم1999م:483/8، والألوسي: روح المعاني1415ه:465/15، وابن عاشور: التحرير والتنوير1984م:545/30، والعثيمين: تفسير جزء عم2002م:319/1.

2. **الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل الراغب:** المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دمشق، بيروت، 1412هـ، بدون رقم الطبعة.
3. **الألوسي محمود بن عبد الله:** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
4. **ابن باديس عبد الحميد:** مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ – 2003م.
5. **البخاري محمد بن إسماعيل:** الجامع الصحيح، دار السلام، الرياض، السعودية، ط2، 1419هـ – 1999م.
6. **البغدادي أحمد علي الخطيب:** تقييد العلم، دار إحياء السنة النبوية، ط2، 1974م.
7. **البغوي الحسين بن مسعود:** معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ–1997م.
8. **البقاعي إبراهيم بن عمر:** نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ.
9. **الثعلبي أحمد بن محمد:** الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ– 2002م.
10. **جعفر شرف الدين:** الموسوعة القرآنية– خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420هـ.
11. **الجوهري إسماعيل بن حماد:** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م.
12. **حجازي محمود:** الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، 1970م.
13. **أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي:** البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دون رقم الطبعة، 1420هـ.
14. **الخازن علي محمد البغدادي:** لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
15. **الخالدي صلاح عبد الفتاح:** التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، الأردن، ط2، 1422هـ – 2001م.
16. **الخولي إبراهيم محمد عبدالله:** التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، مصر، ط1، 1425هـ– 2004م.
17. **الداني عثمان بن سعيد:** جامع البيان في القراءات السبع، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 1428هـ–2007م.
18. **درَّاجي محمد:** الشيخ سعيد حوى مفسراً، أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة، الجزائر، جامعة الجزائر، 1416هـ – 1997م.
19. **الذهبي محمد حسين:** التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، مصر، ط8، 1424هـ – 2003م.
20. **رحماني أحمد:** مصادر التفسير الموضوعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1419هـ– 1998م.
21. **الزبيدي محمد بن محمد مرتضى:** تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون بيانات.
22. **الزرقاني محمد عبد العظيم:** مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، من دون رقم الطبعة، 1422هـ – 2001م.

23. **الزركشي برهان الدين:** البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضيل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ – 1957م.
24. **الزمخشري محمود بن عمرو:** الكشاف عن حقائق غوامض التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
25. **الزهري محمد بن مسلم:** الناسخ والمنسوخ– وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، رواية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ–1998م.
26. **ابن سعد محمد:** الطبقات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م.
27. **أبو شهبة محمد بن محمد بن سويلم:** المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1423هـ– 2003م.
28. **صالح أياد عدنان:** مختصر نظرات في التفسير الموضوعي، صدى، صنعاء، ط1، 1429هـ– 2008م.
29. **الصدر محمد باقر:** المدرسة القرآنية، دار التعارف، بيروت، ط2، 1401هـ – 1981م.
30. **صواب صالح:** التفسير الموضوعي، دار الآفاق، صنعاء، ط2، 1426هـ– 2006م.
31. **الطبري محمد بن جرير:** جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420–2000م.
32. **ابن الطقطقي** محمد بن علي بن طباطبا: تاريخ الدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار القلم العربي، بيروت، ط1، 1418هـ– 1997م.
33. **الطيار مساعد بن سليمان:** مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1427هـ.
34. **عبد الستار فتح الله سعيد:** المدخل إلى التفسير الموضوعي، مكتبة الإيمان، مصر، ط5، 1432هـ– 2011م.
35. **العثيمين محمد صالح:** تفسير جزء عم، تخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، ط2، 1423هـ– 2002م.
36. **ابن عطية عبد الحق بن غالب:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
37. **الفيروز أبادي محمد بن يعقوب:** بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1393هـ– 1416م.
38. **ابن قتيبة عبد الله بن مسلم:** غريب الحديث، تحقيق: د/ عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ.
39. **القرطبي محمد بن أحمد:** الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ– 1964م.
40. **القطان مناع:** مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط34، 1418هـ– 1998م.
41. **ابن كثير إسماعيل بن عمر:** تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، الرياض، 1420هـ– 1999م.
42. **الكواكبي عبد الرحمن:** طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، بدون بيانات.
43. **الماتريدي محمد بن محمد:** تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ– 2005م.
44. **ابن** مجاهد أحمد بن موسى: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.
45. **المراغي أحمد بن مصطفى:** تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ– 1946م.
46. **مصطفى مسلم:** مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط6، 1430هـ– 2009م.

47. **المقري عبد الله بن سلامة:** الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، و محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ.
48. **المعلمي حسن محمد:** الفتنة في القرآن، مؤسسة الوراق، الأردن، ط1، 2015م.
49. **ابن منظور محمد بن مكرم:** لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، بدون عام الطبعة.
50. **النسفي عبد الله أحمد:** مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق وتخريج: يوسف بديوي، راجعه وقدّم له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ– 1998م.
51. **النيسابوري مسلم بن الحجاج:** الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، بدون بيانات.
52. **الهرري محمد الأمين عبد الله الأرمي الأثيوبي:** حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، راجعه: د. هاشم محمد علي مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421هـ– 2001م.
53. **الواحدي علي بن أحمد:** أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام– السعودية، ط2، 1412هـ– 1992م.